

## رب صدفة خير من ميعاد

إنعقدت في القاهرة في أوائل شهر سبتمبر الماضى الإجتماع الثالث عشر للجمعية العالمية للطب النفسى برئاسة الزميل الصديق البروفسير أحمد عكاشة وهو أحد الوجوه العربية المشرفة فى المنتديات العلمية فى مجال الطب النفسى .. وشاء الله أن يحضر الإجتماع صفوة من الأطباء النفسانيين السودانيين .. وكانت صدفة خيراً من ميعاد للإلتقاء بالزملاء الأطباء السودانيين العاملين بالخارج فى الوطن العربى والدول الأجنبية الأخرى .. وقد كان لقاء حافلاً بالمحاضرات العلمية وورش العمل ولا يمكن أن تجد فرصة للمقابلات الشخصية إلا من خلال فترات الراحة فى أروقة "مدينة المؤتمرات" بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة ..

ولا أقول إن التاريخ يعيد نفسه فقط ولكن للملاقة أوقات. فقد سبق وإلتقينا على هامش مؤتمر الأطباء النفسانيين العرب فى تونس قبل بضع سنوات وفى كل مرة نكتشف أن عدد السودانيين من الأطباء النفسانيين العاملين بالداخل أقل من عدد العاملين بالخارج حتى لو أخذنا فى الاعتبار التوزيع الجغرافى للمدن فى الدول العربية والأجنبية قياساً بالسودان عامة وهى حقيقة محزنة ومخجلة ولو كانت (الضرورات تبيح المحظورات) وليس هذا موضع الحديث عنها .. وسبق الإشارة إليها فى أكثر من موضوع .. وتذكرت مقولة الأخ الشاعر الدبلوماسى سيد أحمد الحر دلو عندما التقيت به أول مره فى كافتريا جامعة القاهرة فى عام 1963م ثم مرة ثانية فى فندق (شيراتون) صنعاء فى اليمن الشقيق عام 1989م وقال لي: "يبدو أن الذى قال الداخل مفقود والخارج مولود كان يقصد السودان" .. إذ اننا نلتقى فى الخارج أكثر من لقاءاتنا فى الداخل! فقلت له: "ربما تكون ضريبة الإعتراب؟". فقال لي: "إن المغتربين بالداخل أشد شعوراً بمرارة الغربة من المغتربين بالخارج .. فأنتم فى نعيم" .. فقلت له :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وأفترقنا.. ويصدق الحديث إذ نلتقى مرة أخرى فى أبوظبى وقد سبق وزرت الخرطوم خلال هذه السنوات عدة مرات وكان يوجد فيها آنذاك ولم يتم لنا لقاء

عود على بدء ..

تذكرت أننا فى حضور المؤتمر الثانى لإتحاد الأطباء النفسانيين العرب فى القاهرة فى عام 1983م جاءت كوكبة مقدره من الأطباء النفسانيين السودانيين يتصدرهم الراحل الدكتور حسبو سليمان ليجتمع جميع الأطباء السودانيين بالخارج وقررنا أن نجتمع فى "مطعم فلفله" أحد المطاعم الشعبية المشهورة فى مدينة القاهرة .. وكانت هذه بداية لتكوين نواة لإتحاد الأطباء النفسانيين السودانيين بالداخل والخارج .. ولكن لأننا كنا نعيش فى نعيم الصحوة السياسية مع القاهرة فى ذلك الوقت وفى جحيم غيبوبة الجفوة الداخلية بالخرطوم ما كان لذلك التواصل أن يتم من الداخل .. واكتفينا باللقاءات الخارجية لأن بعض الزملاء لم يتمكنوا من زيارة السودان طوال سنوات متصلة .

وفى هذه المرة والسودان يشهد انفراجاً فى أزماته وانفتاحاً فى علاقاته .. حضرت مجموعة من الأطباء ونظم لنا الأخ الدكتور عبدالله عبدالرحمن أستاذ الطب النفسى بكلية الطب جامعة الخرطوم وأستاذ الجيل البروفسير طه بعشر لقاءً ودياً .. وحفلاً فى الحديقة الدولية فى ضاحية "مدينة نصر" .. والتأم شمل الأصدقاء رجالاً ونساءً وقضينا وقتاً طيباً استرجعنا فيه أمجاد السودان فى أرض الكنانة.. مستبشرين بما يجرى الآن فى الأصعدة المختلفة من إعادة هيكلته واستعادة هيئته وإعلاء مكانته فى القارة الإفريقية مرة أخرى بعد عقود

حيث احتضن أول مؤتمر للطب النفسى عام 1966 برئاسة العالم الراحل المقيم البروفسير التجانى الماحى عطر الله ثراه و كان البروفسير أحمد عكاشة الرئيس الحالى للمؤتمر ورئيس الإتحاد العالمى للأطباء النفسانيين أحد الأطباء الضيوف و الواعدين فى مجال الطب النفسى بينما كان الدكتور طه بعشر خبيراً لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق البحر الأبيض المتوسط بالإسكندرية وكان البروفسير نورمان سارتوريوس - الذى يحمل اسمه الآن (الجائزة الذهبية لحقوق الانسان فى الطب النفسى) .. - مديراً للمنظمة فى "جنيفا" وصديقاً شخصياً للبروفسير طه بعشر وللحقيقة أقول أننى ما التقيت به فى أى مؤتمر فى أركان العالم الأربعة الا وسألنى عن الدكتور طه بعشر وما جاء ذكر انجازات العالم الثالث أو القارة الإفريقية فى مجال الطب النفسى الا وتحدثت باعجاب شديد عن زيارته التاريخية للخرطوم فى بداية السبعينات وعن التقدم العلمى فى مجال الطب النفسى الذى يقوده الدكتور طه بعشر فى السودان .

وربما لأن القاهرة عاصمة دولة تكرم أبناءها النابغين وأمة تجلّ علماءها المتميزين فقد سعد نجم الدكتور عكاشة حتى وصل الى رئاسة اكبر هرم علمى فى الطب النفسى فى العالم وهو (الإتحاد العالمى للأطباء النفسانيين) والذى يعقد اجتماعه لأول مرة فى العالم العربى تقديراً لجهوده الثرة وعطاءه الفريد و تكريماً لأمة كاملة فى شخص رجل واحد.. ووصل البروفسير نورمان سارتوريوس قمة الأولمبياد حين خصصت الجائزة الذهبية باسمه .. وهو فى الأصل من كرواتيا واشهد له بالتميز والجدارة والاستحقاق. وأشهد إن كلا الرجلين صديقان شخصيان لى و لا أحسدهما و لا أبخسهما حقهما و قد كتبت عنهما فى كتابى (رحلتى مع الطب النفسى) فى الموقع الإكترونى الشخصى المشار إليه.

ولكن حزّ فى نفسى كثيراً أن وصل البروفسير طه بعشر وحرمة الفضلى الدكتوررة والوزيرة السابقة و الأخت سيده بشار .. ولم يشفع للبروفسير تاريخه الأكاديمى وسيرته العلمية المعهودة و مشاركته السياسية المشهودة .. وتفردته فى السودان ..و هنالك ( بعشر ) واحد فى السودان .. واسمه على كل لسان و لكنه جاء و كأنه فى حالة البحث عن مكان و فى أى عنوان حتى وجدته ثانى أيام المؤتمر .... وكان المفترض ان يستقبل كاحد كبار الزوار فى بروتكول الشخصيات الهامة ويسكن فى أرقى الفنادق .. وتوفر له أفضل وسائل النقل فى المجئ و الذهاب ليس فقط لأن مكانته العلمية والعالمية تتطلب ذلك .. ولكن لأن مرحلته العمرية وحالته الصحية تستوجب رعاية كأحد الأخيار وابن السودان البار الذى دخل التاريخ من أوسع أبوابه فى المحافل الدولية والمنتديات العلمية ويكفى أنه أحد رموز الطب النفسى فى أفريقيا ..و سمعته بالخارج أشد دويًا من رجوع صداها بالداخل .. وأنا أحد شهود العصر على ذلك...قطرة من نبع و غيض من فيض .  
والله وراء القصد .

و لنا عودة باذن الله..

الدكتور الزين عباس عمارة - أبوظبى